حول اعتبار الوزير المصري فاروق حسني الحجاب عودة للوراء:

اللباس الشرعي ليس حجابا للعقل وهو موجود في كل الشرائع السماوية

الشيخ طارق يوسف حسن صالح*

■ خرج علينا في هذه الايام النحسات وزير الثقافة المصري الهمام بتصريحات حول لباس المراة المسلمة معتبرا اياه عودة للوراء واعتبر ان الفتاوى التي تؤيد هذا الزي عودة للوراء، ولما كانت هذه التصريحات عودة للوراء وانبطاحا وارتماء في احضان الغرب فانني اجد نفسي مضطرا لان اتناول هذا الموضوع بالتحليل من جميع جوانبه لمواجهة سماسرة الغزو الثقافي لاقف منهم موقف الشرطة من اللصوص.

فبادئ ذي بدء احب ان اعرف ما هو الحجاب اصلا خاصة وان هناك العديد من الاسماء الخاصة باللباس الشرعي للمراة مثل الحجاب والنقاب والخمار والعباءة والجلباب، والحقيقة ان هناك فرقا بين ما يستخدمه الناس في اعرافهم واسواقهم وبين المصطلحات المستخدمة في الشرع الاسلامي، صحيح انه لا مشاحة في الاصطلاح كما يقول الاصوليون بمعنى ان العبرة بالمسمى لا بالاسم غير اني سوف اوضح فروقا مهمة بين الفاظ معروفة. اولا الحجاب في القرآن هو الساتر كما قال الله عن مريم عليها السلام "فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً" وقوله تعالى «وَاِذَا سَاَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْاَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَاب» وقوله «وَاِذَا قَرَاْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابا مَّسْتُوراً» وقوله «وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ» وقوله «حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ» وقوله «وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ» وقوله «وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ اَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلا وَحْياً اَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ اَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِاِذْنِهِ مَا يَشَاءُ» وبالتالي استعمل الفقهاء مفهوم الحجاب للتعبير عن اللباس الذي يحجب جسد المراة بالكامل شاملا الوجه والكفين. وثانيا: النقاب فهو اشبه بالبرقع الذي تغطي به المراة وجهها فلا يظهر الا عينيها وهو الذي منع النبي من لباسه اثناء الحج لقوله «ص» «لا تلبس المراة النقاب والقفازين في الحج» وهو عند جمهور علماء السنة والشيعة فرض على نساء النبي فقط لقوله تعالى «وَاِذَا سَاَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْاَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ» مستحب لغيرهن اذا اردن التاسي بامهات المؤمنين. واما الخمار فهو قطعة القماش التي تغطي بها المراة راسها وشعرها وعنقها وتسدلها على صدرها لتغطي فتحة ثوبها والمعروفة في القرآن باسم الجيب والتي تلبس من خلالها الثوب لقوله تعالى «وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ» وخُمُر جمع خمار وجُيُوبِ جمع جيب. واما الجلباب مفرد جلابيب هو الثوب الفضفاض الواسع السابغ تلتحف به المراة من فوق راسها وهو اشبه بالملاءة التي تلبسها المراة العراقية او الشادور الذي تلبسه المراة الايرانية او الجلابة في المغرب او العباءة في الدول الاخرى. وقد قال الله: (يَا اَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ اَدْنَى اَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ).

وعلى ضوء تعدد تلك الاسماء كما وردت في القرآن الكريم فان مسميات اللباس الشرعي للمراة تختلف من بلد لآخر حسب اختلاف الثقافة والتعبيرات اللغوية، غير ان مواصفات الزي الشرعي للمراة المسلمة بناء على تلك الآيات وغيرها وتفسيرها والاحاديث النبوية وتفسيرها حدد العلماء مواصفات اللباس الشرعي الذي يجب على المراة المسلمة التي تلتزم بتعاليم الاسلام ان ترتديه ثماني صفات، اولا: لا يصف اي لا يجسد بدن المراة بمعنى ان يكون ضيقا بحيث يجسد مفاتن البدن كالاسترتش والجينز وغيره. ثانيا: لا يشف اي لا يكون خفيفا رقيقا يكشف عن ما تحته. ثالثا: ان لا يكون معصفرا اي الوانه خلابة على نحو يخطف الابصار. رابعا: ان لا يكون معطرا بمعنى ان تضع المراة عطرا من شانه ان يجذب الرجال ويهيج شهواتهم. خامسا: ان لا يشبه لباس الرجال اي مما يختص به الرجال في ازيائهم. سادسا: ان لا يكون زينة في نفسه كمن تزين خمارها على نحو ما لجلب انظار الرجال. سابعا: ان لا يكون لباس شهرة اي تلبس المراة زيا لا مثيل او نظير له بحيث اذا سارت في الطريق اشار اليها الناس بالبنان. ثامنا: ان لا يشبه لباس الكافرات اي لا تتحرى المراة المسلمة احدث صيحات الموضة العالمية التي يصمم ازياءها المخنثون ومن لا غيرة لهم ومن لا دين لهم.

وفي الواقع وللاسف فنسبة ضئيلة من المسلمات يلتزمن بهذه الضوابط غير انني احب ان اشير هنا الى ان المراة المصرية في الاقاليم تلتزم بزي اقرب الى الشرع وهو عبارة عن ما يطلق عليه الجلابية السودة والطرحة بدون تزمت او تعقيد. وكذا المراة العراقية بملاءتها واللبنانية والايرانية بشادورها والخليجية بعباءتها والمغربية بجلبابها والطالبات المتدينات في المدارس والجامعات وبقية العالم الاسلامي بلباسها المعتاد بدون تبرج. غير اني اعتقد ان تكون النسبة لا تزيد عن 25 % غير ان نسبة النساء المسلمات الملتزمات بهذا الزي في الغرب لا تزيد عن 10 % فوفق استطلاع للراي انجز مؤخراً في فرنسا، تبين ان ما يناهز 80 بالمئة من النساء المولودات في فرنسا، وهن من اصل مسلم، يؤكدن بانهن لم يرتدين الخمار يوماً! وعليه فاننا يمكن ان نحدد طبيعة المشكلة التي قامت في فرنسا واوروبا حول الحجاب والآن في تونس وبعضا منها في استراليا بعد تصريحات مفتيها حول الاغتصاب ويثيرها اليوم الوزير غير المثقف تدور حول الخمار اي غطاء الراس والعنق وفتحة اللباس من الصدر، وليس عن الحجاب الذي يشمل تغطية البدن والوجه. وبالتالي فان كثيرا من نسائنا يولولن على الحجاب واكثرهن غير محجبات من الناحية الشرعية وينبغي ان نتعلم ضوابطه واحكامه ومن ثم نثور على التهجم عليه او منعه. ولم ازل اذكر تلك المضيفة او الطيارة التي تم فصلها من شركة طيران مصرية خاصة بعد ان لبست غطاء راس واستضافتها قناة الجزيرة فظهرت على الشاشة بملبس الطيار كبدلة رجل طيار والبدلة تصف اعضاء بدنها مثل الرجال والمسكينة ومن استضافها تظن انها التزمت بالحجاب والزي الشرعي بينما هي ما فعلت اكثر من انها غطت شعرها.

وقد يسأل شخص عن الحكمة في ان التشريع الاسلامي متشدد في شان ملابس النساء على هذا النحو وكيف تعرض القرآن الكريم للعلاقة بين الزي والسلوك والاخلاق؟ والحقيقة احب ان اشير هنا الى ان الزي الشرعي الشكلي ليس وحده فقط دليلا على العفة وليس عدم وجوده دليلا على العهر، فقد تجد امراة متبرجة وهي في سجاياها وطباعها افضل من امراة تلبس النقاب وقد تكون مصدر نكد دائم لزوجها واهلها، وليس معنى ذلك تبريرا للتبرج، وعلى المراة حسنة الباطن ان تضيف له حسن الظاهر امتثالا لامر ربها، وللاسف فان كثيرا من المسلمين يخلطون ما بين المظهر والجوهر، والشكل والمضمون، بل انهم ينحازون في اغلب الاحوال الى الجانب الشكلي فقط، حيث يعتبرون ارتداء الزي الشرعي معيارا وحيدا للحكم على ايمان المراة المسلمة بالرغم من اهمية ذلك. واما حكمة التشريع فهو حماية للمراة وحصانة للمراة اكثر مما هو حماية للرجال. فالاسلام حرص على عدم خدش حياء المراة ولو بالكلمات او التعرض لها على اي نحو صيانة لها من اي عابث مستهتر. فقد امر الله نساء النبي وهن في موطن القدوة: «يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَاَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ اِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ» بترخيم الصوت وتليينه وترقيقه على نحو يغري بهن الفساق والفجرة ويسيء الظن بهن. وامرهن بان لا يظهرن زينتهن الا ما تدعو الضرورة اليه من وجه وكفين وهو قول جمهور العلماء في تفسير قول الله «ولا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا». بل ونهاهن الله ان يلفتن الانظار الى زينتهن المستورة فقال سبحانه «ولا يَضْرِبْنَ بِاَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ» كما انه لا يخطر ببال المسلمة وهي ترتدي الملابس الشرعية تلك السخافات الغربية ويقتدي بها الوزير المتعلقة بالقهر، وبانها مكرهة على ارتدائها بدليل بقائه في افغانستان حتى بعد سقوط طالبان، وانما الذي يسيطر على عقلها وروحها ان هذا الزي اداة شرعها الله للحفاظ على قدسية جسدها وخصوصيته فلا تسمح لمتسولي الاجساد وسارقي النظرات ومسعوري الشهوات ان يلتقطوا ولو نظرة تخدش حياءها ويشبعون بها سعارهم الجنسي، وان غايته ضبط العلاقة بين الجنسين بالابتعاد بها عن عنصر الاثارة او التاثر بردود الفعل من معاكسات وتحرشات واعتداءات واغتصابات وهو منضبط باخفاء او ستر الزينة نزولا على قوله تعالى «وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ اَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ الاَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ الا لِبُعُولَتِهِنَّ اَوْ آبَائِهِنَّ اَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ اَوْ اَبْنَائِهِنَّ اَوْ اَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ اَوْ اِخْوَانِهِنَّ اَوْ بَنِي اِخْوَانِهِنَّ اَوْ بَنِي اَخَوَاتِهِنَّ اَوْ نِسَائِهِنَّ اَوْ مَا مَلَكَتْ اَيْمَانُهُنَّ اَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ اُوْلِي الاْرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ اَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِاَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا اِلَى اللَّهِ جَمِيعاً اَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ».

وللاسف ان بعض معارضي الحجاب يقولون ان الحرمان والمنع والتحريم (تعتبر نوعا من محاصرة النساء وكبت حرياتهن عبر التاريخ) برزت كرد فعل لواقع ثقافي اجتماعي اقتصادي خاص او كجزء اساسي من ايديولوجيا دينية وسياسية مقنعة وانعكس ذلك في صورة الحجاب. فوفقاً للفكر الاسلامي ان للملابس فلسفة خاصة تستند الى «فلسفة العفة»، وغايتها ليست ستر البدن فقط، فاللباس نوعان وهو ما ذكرهما الله بقوله: «يَا بَنِي آدَمَ قَدْ اَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ» فالحجاب بمفهومه الشامل والحقيقي هنا بما هو لباس للبدن دعوة الى لباس الباطن الذي هو التقوى، تلك المفردة التي تستر مساوئ الاخلاق وذميم الملكات وتعمل على ابدالها بمحاسن الاخلاق وجميل الصفات وممدوح الملكات، فاذا كانت الحضارة تحتاج الى ترشيد العقل وسلامة النفس من الموبقات والرذائل، فان في الحجاب بمعناه الشامل وليس غطاء الراس فقط دعوة الى تحرير العقل من اسر الشهوة وتحفيز لطهارة النفس واعمارها بالتقوى فهذا هو الحجاب في حقيقته وجوهره وفلسفته. حيث تضع المراة لباسا على جسمها بطريقة تسهم في ستر مفاتنها وتعمل على حجب الجانب البدني والمادي في جسد المراة لصالح اظهار الجانب الانساني والمعنوي في شخصيتها. ان هناك حاجة لادراك فلسفة الحجاب، حيث ان الحجاب هو حجاب للشهوة، فالحجاب في فلسفته هو منع لغلبة البعد الحيواني على البعد الانساني والعقلي في شخصية الانسان وفي هذا الاطار لا يعد الحجاب زيا لطائفة خاصة، او زي فقر او عوز ترتديه من لا تستطيع مواجهة تكاليف عصر ما بعد الحداثة، او زيا فولكلوريا تراثياً تعبيرا عن تمسك بتقاليد بالية. بل هو زي ينطلق من بعد عقائدي، حاملا قيمة دينية، ومظهرا لثقافة خاصة كما هو واضح وجلي في تنوع شكل الزي الشرعي المختلف بين الدول الاسلامية بحسب الثقافات، لكنه يتفق على «ستر» حدود ما يُعتبر عورة شرعاً، والتمسك به يعني التزاما بالتشريع الالهي في مواجهة محاولات التشريع الوضعية من قبل حضارة تستهدف قولبة البشر، واعادة صياغتهم وفق منظورها الحضاري الذي تراه المنظور الوحيد الجديد بالتعميم طوعا واحيانا كرها. ان شعار الزي الشرعي يتجاوز الجانب الشكلي ليصل في تعبيره واقع النفس الانسانية وطبيعة الصراع الدائر فيها بين الشهوة والعقل او بين البعد الحيواني والبعد المعنوي الانساني، حيث يكون الحجاب هنا مناصرة للعقل والبعد المعنوي والجانب المتعالي على الشهوة والبعد الحيواني والجانب المتسافل في شخصية الانسان. ومن هذا المنطلق فلن يكون الحجاب تعبيرا عن الحرمان والمنع والتحريم كما يشكك البعض او مجرد تكيف لضغوط اقتصادية مرحلية. ان الحجاب يدعو الى تحويل ميدان المجتمع الى ساحة تغلب فيها العفة والطهارة على الابتذال والتنافس في اظهار المفاتن، ولا يخفى ان توفير البيئة الاجتماعية المناسبة سوف يسهم في التاكيد اكثر على قيم العمل الصالح والانتاج المتوازن في جميع الميادين ومن ثم صناعة الحضارات النافعة. ان الحرمان الحقيقي هنا ان الكثيرين حرموا من فهم حقيقة الحجاب، حيث تصوروه جسدا بلا روح وقالبا بلا معنى وشكلا بلا مضمون. ان المنع الحقيقي هنا هو الا تأخذ بالاسباب التي تسهم في منع سفور الشهوة وحجاب العقل، حيث ان الحجاب هنا في فلسفته يعمل على المنع من سفور الشهوة لصالح حجابها، وليس كبتها، ويعمل على المنع من حجاب العقل الصالح ظهوره وسفوره. فالاسلام كما قلت لا يدعو النساء الى حجاب البدن وفقط، بل يدعو النساء الى الحجاب الذي يستر الرذائل وينمي الفضائل، الحجاب الذي يستر الخبث والشقاوة لصالح العفة والطهارة، الحجاب الذي يستر في الانسان بعده الحيواني والشهواني لصالح بعده الانساني والواعي، وبالتالي ليس ذنب الاسلام اذا كانت بعض النسوة يرتدين الحجاب بشكل خاطئ، او اذا تلقاه البعض على اساس انه مجرد تقليد اجتماعي موروث، فان الفهم الصحيح للاسلام واحكامه وفلسفته يؤخذ فقط من الذين يلتزمون الدين وقضاياه عن وعي وعلم ومعرفة لا عن وراثة وتقليد، ومن خلال الرجوع الى اهل المعرفة والخبرة بالدين وفلسفته واحكامه وقضاياه. وقد يقول قائل لكن الحجاب كان معروفا في الجزيرة العربية قبل بعثة النبي (ص) وان التشريع الاسلامي اقره كواقع اجتماعي وليس تشريعا اصيلا والواقع انه كان معروفا ليس فقط في الجزيرة بل كان معروفا من لدن ابينا آدم عليه السلام وكذلك في اليهودية والمسيحية. فقد جاء في كتاب قصة الحضارة للكاتب (ويل ديورانت) القول بانه «كان في وسع الرجل ان يطلق زوجته اذا عصت اوامر الشريعة اليهودية، بان سارت امام الناس عارية الراس». والذي يشاهد اليهود المتدينين في امريكا والمعروفين بالارثوذكس يراهم مع نسائهم وهن يلبسن لباسا سابغا لا يكشف سوى الوجه والكفين كزي المسلمات، ولم ازل اذكر يوما كنت مسافرا من مطار لوس انجليس ورايت احدهم مع زوجته المحجبة ونحن في انتظار المغادرة فهممت ان اقوم لتحيتهما وشكر اتباع نبي الله موسى على احترامهما لاوامر الله، غير اني خشيت ان يسيئا الظن، فيفهما انني اسلم بكل ما يدعون من تبعية لموسى، فالتزمت الصمت. والذي يؤكد ان اللباس الشرعي وغطاء الراس من تعاليم رسول الله عيسى بن مريم عليه السلام الصورة الخيالية التي يعلقها المسيحيون للسيدة مريم عليها السلام سواء في الكنيسة او في المنازل، تظهر السيدة مريم بزي شرعي مع غطاء راسها لا يظهر الا الوجه والكفين، وكذا لباس الراهبات لا يظهر منهن الا الوجه والكفين. فاذن اللباس الشرعي مع غطاء الراس هو تعاليم السماء في جميع الاديان السماوية وليس من بدع او مستحدثات الاسلام. وقد يخرج علينا جاهل بالقول اننا لا نوافق على لبس الحجاب قياسا على منع سيدنا عمر بن الخطاب الجواري والاماء من لبس الحجاب في زمن خلافته وما كان ليقول ذلك لو علم ان مفهوم الحجاب الذي يعني كما قلت يشمل تغطية الوجه والكفين بمعنى وضع النقاب او القناع كلباس اشتهرت به معظم الحرائر والمنقول عن عمر كما اخرج ابن ابي شيبه عن ابي قلابة رضي الله عنه قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يدع في خلافته امة تقنع ويقول: انما القناع للحرائر لكيلا يؤذين. ولقد اخرج ابن ابي شيبه وعبد بن حميد عن انس رضي الله عنه قال: رأى عمر رضي الله عنه جارية مقنعة، فضربها بدرته وقال: القي القناع لا تشبهين بالحرائر. اذن عمر منع الاماء من تغطية الوجه وليس تغطية الشعر. ومما يؤسف له ان بعض المسلمين الغربيين ممن يسمون بالمفكرين الاسلاميين منهم الالماني مراد هوفمان والذي كان قد عمل في السلك الدبلوماسي لالمانيا بالقول انه يمكن تطبيق الحجاب بدون تغطية الراس، وخاصة في امريكا واوروبا، حيث لا يمثل شعر المراة اثارة للرجل!! واضاف انه يعتقد «ان غطاء الراس يصبح ضرورياً فقط عندما يؤدي كشفه الى احداث اثارة جنسية»! ومع احترامي للرجل وخدماته وجهده في خدمة الدعوة الاسلامية في المانيا واوروبا الا انني اعيب عليه عدم التزامه بحدوده العلمية بالفقه الاسلامي شأنه شأن السيد جارودي في فرنسا وشان النخب المثقفة التي اعتنقت الاسلام مع تقديري لجهودهم جميعا في نشر الاسلام. فآراء هؤلاء سببت خيبة امل كبيرة في اوساط المسلمين في اوروبا والغرب. فاذا اعتبرنا على حد زعمهم ان العلة في فرض الخمار وتغطية الراس هي عدم الاثارة فاذا انتفت الاثارة انتفى الحكم والفرضية، فاذا كانت المراة قبيحة او شعرها ليس جميلا او قصيرا معدوما لا يثير ولا يلفت النظر فيجوز والحال كذلك ان نفتي قبيحة الشعر بان تكشفه، وجميلة الشعر ان تحجبه وتستره، فيكون كشف الراس جائزا للبعض محرما على اخريات!!، وهذا سيجرنا الى ما هو اكثر فاذا كان الصدر والثديان مما لا يثيران الشهوة في بعض المجتمعات كما هو الحال في بعض دول افريقيا فاننا يجوز ان نفتي بان كشفهما حلال، وهلم جرا حتى سنفتي بجواز كشف جميع البدن الا من ورقة التوت التي تستر السوأة لان بعض الاقوام في الغابات الذين يعيشون اشباه عرايا مع ستر السوأة فقط دون ان تستثار شهواتهم من هذا التعري شبه المطلق. هذا اذا سلمنا جدلا بان الشعر لا يثير شهوة الغربيين، والمتتبع لعدد قضايا التحرش الجنسية والاغتصاب واتيان المحارم في الغرب بالرغم من شبعهم الجنسي بجميع الوسائل، يعرف ان الشعر لا شك من محاسن ومفاتن المراة التي تجذب الرجال من اي جنس كانوا سواء من الشرق او الغرب، فالانسان هو الانسان، ونهى الله في سورة النور عن ابداء الزينة بقوله «وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ الا مَا ظَهَرَ مِنْهَا» كان واضحا في ان المراة المسلمة يجب ان تستر زينتها الا ما يظهر منها بحكم حركة الحياة الوجه والكفان، ولا ينازع اي عاقل او حتى مجنون في ان شعر المراة من اهم محاسن المراة التي تتفنن في تغيير الوانه واختراع تسريحاته، ولهذه التسريحات مصمموها العالميون، وقد بلغ من قداسة اللباس الشرعي ان الله لم يسمح للعجائز والقواعد التي التزمن بيوتهن لكبرهن من النساء اللاتي انتهى ميلهن للرجال، وميل الرجال لهن، ان يكشفن زينتهن وشعرهن تبرجا بالرغم من انهن لا يطمعن في احد او يطمع فيهن احد، وان كان اذن لهن ترخصا بجواز عدم التحفظ الشديد من ثوب فضفاض وسابغ وغيره من مواصفات كاملة للزي الشرعي مع ان النص القرآني رغبهن استحبابا ان يلتزمن بالضوابط الكاملة كمؤشر للعفة فقال تعالى «وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ اَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَاَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ». ولا ادري ماذا سيقول اخونا هوفمان ومن نهج نهجه في وجوب تغطية المراة راسها اثناء الصلاة ولو كانت تصلي نفلا ولو كانت منفردة وحدها في غرفة مغلقة او حتى في كهف تحت الارض طالما تملك ملابس تكفي لتغطية شعرها.

الواقع ان رؤى النخب المسلمة المثقفة الغربية والمعروفين بالمفكرين تنبع من الرغبة في تحقيق مصالحة او مقاربة بين الاسلام وقيم الحداثة الغربية، وايجاد مخرج يكفل للمسلمين في الغرب لا سيما من هم من اصل اوروبي، التعايش مع مجتمعاتهم الجديدة، الا ان تلك التوجهات، وذلك التعايش يجب الا تتم عبر التنازل عن احكام شرعية قطعية الثبوت، قطعية الدلالة، للالتقاء مع الحضارة الغربية في منتصف الطريق، وانما تتم المصالحة عبر الاعتراف والتسليم بمفهوم الالتزام بالواجبات الشرعية الدينية والخصوصية الثقافية والتسامح مع الآخر. واما موقف بعض المنسوبين للثقافة من امثال وزيرنا من النخب العربية الذين يعارضون مبدأ الحجاب ويدللون على صحة آرائهم بتفسيرات خاصة لبعض النصوص القرآنية ويعتبرون ذلك نوعا من الاجتهاد فانه والحق يقال ان موقفهم هذا ياتي اتساقًا مع الرؤية الغربية، نظرا لانها تدين بالفضل في تكونها الفكري والطبقي للثقافة الغربية، وتعد اطروحاتها بشأن المراة بشكل عام والحجاب والزي الشرعي بوجه خاص مجرد اعادة وتكرار اجوف للطرح الغربي، ولا تحمل اي فكر جديد. وقد تتمسح بعض هذه النخب من امثال المستشار سعيد عشماوي في كتابه «حقيقة الحجاب وحجية الحديث»، ببعض التأويلات الفاسدة للآيات القرآنية وللنصوص الشرعية الواردة في شأن الخمار والجلباب والحجاب، وهم يخالفون اجماع علماء الاسلام عبر تاريخ الاسلام حتى اليوم من سنة وشيعة وغيرهم في وجوب الزي الشرعي وغطاء الراس، ولقد لطمهم شيخ الازهر لطمة عنيفة على وجوههم حين اعلن ان الحجاب فريضة شرعية لا نزاع في ذلك ولم نزل نطالبه بالمزيد والاخذ على يد المتجاوز في الحكومة المصرية وهو اول من يعلم قول الله «لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون × كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون» ثم علق عليها صلى الله عليه وآله وسلم (كلا والله لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتاخذن على يدي الظالم ولتاطرنه على الحق اطرا ولتقصرنه على الحق قصرا او ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض وليلعننكم كما لعنهم) وروي عن انس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لا تزال لا اله الا الله تنفع من قالها وترد عنهم العذاب والنقمة ما لم يستخفوا بحقها. قالوا يا رسول الله وما الاستخفاف بحقها؟ قال يظهر العمل بمعاصي الله فلا ينكر ولا يغير» رواه الاصبهاني ايضا وروى البزار، والطبراني، عن ابن عباس، رضي اللَّه عنهما انه قيل: يا رسول اللَّه، اتهلك القرية، وفيها الصالحون؟ قال: نعم، قيل: بم يا رسول اللَّه؟ قال: بتهاونهم، وسكوتهم عن معاصي اللَّه تعالى» واحب ان الفت النظر هنا الى تيار الحركة النسوية بقيادة نوال السعداوي في مصر، وتوجان فيصل في الاردن وغيرهما الذي ينظر للحجاب باعتباره اداة من ادوات التمييز الاجتماعي ضد المراة، ووسيلة من وسائل القهر بل ويرون ان غطاء الراس او الحجاب على حد تعبيرهن ليس هناك دليل عليه من القرآن والسنة. ولقد كان من ذكاء الادارة الفرنسية ان اختارت في لجنة الحكماء التي شكلها شيراك للنظر في امر غطاء الراس وغيره اثنين من النخب المسلمة الفرنسية والمحسوبين كمفكرين اسلاميين وهما من اصول عربية ليؤيدوا قرار منع غطاء الراس في المؤسسات التعليمية الحكومية والمصالح الرسمية. وحتى المدير المشرف على جامع باريس، والذي انتخب رئيساً للمجلس الفرنسي للديانة الاسلامية، علق ايجابياً على ما صدر عن رئيس الجمهورية قائلاً بان «هذا موقف تستدعيه الحكمة» وبان المسلمين يجب ان يلتزموا باسلام معتدل عملاً بفحوى الميثاق الجمهوري. والجدير بالذكر ان الرسول محمد (ص) قد اخبر عن امثال هذه النخب المثقفة او المحسوبة على الثقافة من امثال حسني الوزير وعن خطورتها على الاجيال المسلمة. فقد روى البخاري ومسلم وابو داود وابن ماجة وغيرهم عن حذيفة بن اليمان قال: كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنت اساله عن الشر، مخافة ان يدركني، فقلت: يا رسول الله، انا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: (نعم). قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: (نعم، وفيه دخن). قلت: وما دخنه؟ قال: (قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر). قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: (نعم، دعاة على ابواب جهنم، من اجابهم اليها قذفوه فيها). قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: (هم من جلدتنا، ويتكلمون بالسنتنا). قلت: فما تامرني ان ادركني ذلك؟ قال: (تلزم جماعة المسلمين وامامهم). قلت: فان لم يكن لهم جماعة ولا امام؟ قال: (فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو ان تعضّ باصل شجرة، حتى يدركك الموت وانت على ذلك).

وفي الواقع انا لا الوم بعض الغربيين على موقفهم من زي المراة المسلمة فمن حقهم ان يدافعوا عما يؤمنون ويحافظوا على هوية وثقافة بلدانهم واغلبيتهم المسيحية والله عز وجل يقول "وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ اَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ ايمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ اَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَاْتِيَ اللّهُ بِاَمْرِهِ انَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» ويقول سبحانه «يَا اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ اِن تُطِيعُواْ فَرِيقاً مِّنَ الَّذِينَ اُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ ايمَانِكُمْ كَافِرِينَ» ويقول «يُرِيدُونَ اَن يُطْفِئُواْ نُورَ اللّهِ بِاَفْوَاهِهِمْ وَيَاْبَى اللّهُ الاَّ اَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ». وما اصدق قول رسول الله (ص) «يُوشِكُ الاُمَمُ اَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الاكَلَةُ الَى قَصْعَتِهَا، فقال قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قال: بَلْ اَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُم غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ الله مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ الله فِي قُلُوبِكُم الوَهْنَ، فقال قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا الْوَهْنُ؟ قال: حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ. غير اني ارى وجوب مقاومة هذا الضلال في بلاد المسلمين قبل ان نرفع عقائرنا ضد غير المسلمين في الغرب الذين لا يرجون لله وقارا فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم والا فان لسان حال غير المسلمين سيقول قول شاعرنا العربي:

اَسَــدٌ عَلَيَّ، وَفِي الحُــرُوْبِ نَعَــامَــةٌ
فَـتَـخَـاءُ تَنْفُرُ مِنْ صَـفِـيْـرِ الصَّـافِـرِ؟!
هَـلاَّ بَرَزْتَ اِلَـى غَـــزَالَـةَ فِـي الوَغَـى
بَلْ كَــانَ قَلْبُكَ فِـي جَنَـاحَـيْ طَـائِـرِ

---

* امام مسجد اولي الالباب، بروكلين ـ نيويورك
الامين العام السابق للمجلس الاعلى للشؤون الاسلامية في نيجيريا
المحاضر السابق في كلية الشريعة والدراسات الاسلامية والعربية جامعة مفتاح الدين ابادن نيجيريا
shikhtareq@aol.com

هل تعيد الانتخابات البرلمانية لهولندا مكانتها كواحة اوروبية للتعايش السلمي؟

خميس قشة*

■ يطول الحديث عن اداء الحكومة الائتلافية الحالية بهولندا وما ضمته من اطراف يمينية متطرفة اتخذت من محاربة الارهاب والاصولية مشروعا سياسيا طوال الفترة الماضية للمزايدة واستمالة المواطن الهولندي الذي ذاق ذرعا من حالة الخوف والرعب التي يعيشها.. خاصة بعد احداث هجمات ايلول (سبتمبر)، وحادث قتل المخرج الهولندي «ثيو فان خوخ» على يد شاب مغربي.. شُرّعت خلالها عدة قوانين واجراءات امنية مناهضة للاجانب تفرض قيودا على اقامة المهاجرين، وتَحد من تجمع عائلاتهم، وتشدد الرقابة على المدارس الاسلامية وانشطة الجمعيات والمؤسسات، ادت في عمومها الى تهديد نسيج المجتمع الهولندي الذي يشكل المسلمون احد خيوطه المهمة وساهمت في زعزعة الامن الداخلي للبلاد.

وقد تعرضت هذه السياسات طوال السنة الماضية لانتقادات مختلفة من برلمانيين وسياسيين ومحللين ومثقفين منددين بهذا التوجه المغرض، مطالبين بالتراجع عن بعض قرارات الهجرة والاندماج والنظر في وسائل جديدة تستعيد من خلالها هولندا مكانتها في التعايش السلمي وقبولها للآخر بديانته وعاداته وتقاليده.

وافضت هذه المواقف الى سجال طويل انتهى بتصدع الائتلاف الحاكم باستقالة الحزب الديمقراطي و«الليبراليون الاشتراكيون» الصيف الماضي من الحكومة، ودفع الى اجراء الانتخابات التشريعية قبل اوانها والتي توجه بموجبها قرابة 12 مليون ناخب يوم الاربعاء 22 تشرين الثاني (نوفمبر) الحالي الى صناديق الاقتراع.

ونظام الحكم في هولندا هو ملكية دستورية برلمانية تسود فيها الملكة «بياتريكس» ولا تحكم، وتتربع على عرش هولندا عائلة «اورانج» منذ القرن السادس عشر ويعتبر العرش وراثيا للذكور والاناث على حد سواء، ويشكل الملكة (او الملك) والوزراء والبرلمان معًا السلطة القضائية، اما السلطة التنفيذية فهي في عهدة الملك ورئيس الوزراء صاحب الاغلبية النيابية والمكلف آليا بتشكيل الحكومة...

ويتكون البرلمان من مجلسي النواب المتضمن 150 عضوا، ينتخبون مباشرة من ابناء الشعب كل اربع سنوات والشيوخ، المؤلف من 75 عضوا، تختارهم الحكومات الاقليمية من 12 مقاطعة سياسية..

وتكتسي هذه الانتخابات اهمية كبيرة للظروف الصعبة التي تمر بها المملكة، وقد انطلقت الحملة الانتخابية بسجال وانتقادات سياسية واقتصادية، واصفة تلك للحكومة بالانحياز للاغنياء على حساب الفقراء.. فيما ترى الحكومة المنتهية ولايتها برئاسة «بالكنينده» انها حققت انجازا كبيرا في النهوض بالاقتصاد والامن، وانها لا ترى مشكلة في ارتداء الحجاب باعتباره من الحرية الشخصية وهي خطوة لكسب ود الناخبين المسلمين.

فيما يحاول زعيم الحزب الليبرالي «مارتين روتا» ان ينأى بنفسه قدر الامكان عن الاخفاقات السياسية للحكومة الحالية والذي يعتبر الحليف الاساسي في تشكيلتها، وقد نظم قادة كل الاحزاب الكبيرة مهرجانات انتخابية في كل الاقاليم خلال هذه الايام في سعي محموم منهم لتأمين اكبر عدد من الاصوات مركزين على القضايا المحلية المهمة مثل معاش الشيخوخة، وتحسين ظروف الشغل وتخفيض الضرائب والتأمين الصحي ورفع قيمة المخصصات المالية للاطفال، وتسهيل حصولهم على دور للحضانة.

وتشير آخر استطلاعات الرأي العام الى ان المنافسة حادة جدا، بين اليمين الحاكم واليسار الذي يبدو متقدما نسبيا والذي يتكون من الاشتراكيين اليساريين والاشتراكيين الديمقراطيين وحزب الخضر، وهم الاقرب لتشكيل حكومة اغلبية نظرا لتقارب برنامجهم الانتخابي، والذين تبدو طروحاتهم اكثر مرونة تجاه الاقليات حيث انهم ينادون بسياسة ادماج افضل للاجانب قوامها الحوار والاحترام، في خطوة لاستمالة الصوت المسلم، الذي لوحظ تزايد اهميته على مر الاستحقاقات الانتخابية، فقد كان لهذا الصوت اهمية كبرى في الانتخابات البلدية الماضية.

ويبلغ عدد الاقلية المسلمة اكثر من 11% من عدد السكان وتنامى وعي المسلمين في المشاركة السياسية التي تستند اساسا على مبدأ اصيل وهو جلب المصالح ودرء المفاسد، وتحمل اهون الشرين لدفع اعظمهما من خلال الاقبال على المشاركة السياسية والتصويت للاحزاب التي تخدم مصالحهم، ولا تدعو الى اقفال الابواب امامهم ومحاصرتهم مما رفع نسبة اقبالهم على صناديق الاقتراع في الانتخابات البلدية الاخيرة حيث بلغ عدد تمثيلهم في المجالس البلدية من 50 الى 70 مقعدا، كما يوجد في البرلمان الحالي 8 اعضاء مسلمين موزعين على بعض الاحزاب.

اما نقاط التقاء الاحزاب الدينية المسيحية فهي الحد من تعاطي المخدرات ومحاصرة ظاهرتي السحاق واللواط، والزواج المثلي، وقضية الموت الرحيم، وانفرد الحزب المسيحي الاصلاحي «اس خي بي» بموقفه الرافض لمشاركة النساء في الحياة السياسية، وأدى هذا الامر في العام الماضي الى رفع قضية ضده لدى المحكمة، من احدى المنظمات النسائية المحلية بسبب مواقفه العنصرية ضد المرأة واصدر القاضي حكما يُلزم الحكومة بوقف دعمها المالي للحزب مما سبب له صعوبات مالية كبيرة.. واضطره الى فتح باب العضوية للنساء.

اما نصيب السياسات الخارجية في الحملة الانتخابية فليس فيه جديد وخاصة في ملف الشرق الاوسط، اذ لا تتورّع الحكومات المتعاقبة عن التحيز لاسرائيل، فهي مؤيدة تقليدية لها في كل حروبها، الى جانب تحالفها الذي اقيم ضد العراق وافغانستان.

---

* مدير المركز الثقافي الاجتماعي بهولندا

لماذا يهاجر الفلسطيني الى كندا؟

د.جمال المجايدة*

■ يقال ان هناك 190 مليون مهاجر في العالم، وهذا القول جاء على ذمة مدير عام المنظمة العالمية للهجرة اثناء زيارة له الى دبي مؤخرا، واعتقد بان تدفق الهجرات من الدول الفقيرة الى الدول الغنية امر طبيعي لان الفقراء يبحثون عن الحياة الاكثر راحة الى جانب الاثرياء ـ هكذا يعتقدون ـ اما هجرة العرب وخاصة من فلسطين ولبنان والعراق الى كل من كندا واستراليا وامريكا والدول الاسكندنافية فيها وجهة نظر اخري غير البحث عن لقمة العيش.

هذه الدول تفتح الهجرة ابواب امام الكفاءات فقط وليس العاطلين الاميين، تريد فقط مهندسين واطباء وحرفيين جامعيين في مجالات الزراعة والتخطيط والعلوم والصناعة، لكي يعملوا ويسدوا الفراغ الخطير الناجم تراجع المواليد في تلك الدول.

خبرتي عن الهجرة الى كندا عقب زيارتي الى تورينتو ـ معقل المهاجرين العرب والاسيويين ـ ان كندا تسعى من وراء استقدام كفاءات عربية واسيوية اليها ومنحها اللجوء والعمل والتجنس دفعة واحدة تخطط لتوطين لابناء الجيل الثاني والثالث من هؤلاء المهاجرين الذي يتحولوا الى كنديين اصليين بالتوالد او عبر التعليم المدرسي والجامعي.

كيف؟ كندا تعتبر ان ابناء اي فلسطيني هاجر اليها على انهم ابناؤها وهي المسؤولة عنهم، وليس الاب او الام، وهم لها وليس لابيهم ووطن ابيهم الذي شرده بسبب الاحتلال والظلم الاسرائيلي!

فالاب الفلسطيني المهاجر يحصل على الجنسية وربما يجلس في بيت صغير تستأجره له الدولة وتدفع له شهريا نفقات الحياة القاسية هناك الا انها تستمر اموالها في الابناء الذين يتحولون الى مواطنين كنديين اصليين يحملون العلم الكندي وربما السلاح الكندي ويحمون المصالح الكندية في مواجهة الاطماع الامريكية التي تنهش كندا دون ان تقدر الاخيرة على فعل شئ بسبب ضخامة مساحتها وقلة عدد سكانها.

ورغم ان بعض الاباء الفلسطينيين المهاجرين الى كندا يدركون هذا الواقع وان ابناءهم حتي وان لم يولدوا هناك فهم ليسوا لهم، بل للعلم الكندي، ويخرجون تدريجيا عن ثقافة الاب الى حراسة المصالح الاقتصادية لملاك الانجلوساكسونيين الذي استوطنوا كندا قبل ثلاثمائة عام.

ولكن لا احد يقوي على مواجهة الواقع خاصة في ظل انعدام البدائل لأن اي اب مشرد لاتقبله اية عاصمة عربية سيرد بالقول «كندا ارحم بكثير على الاقل بتعطيني جنسية او غرين كارد مش هذا احسن من التشرد»!.

ورغم ذلك الواقع الصعب اقول تمهلوا في قرار الهجرة ولاتصدقوا مكاتب الهجرة الى كندا ونيوزيلندا ولا تنخدعوا باحلام المنافي البعيدة، لان الارض العربية تظل ارحم واكثر دفئا وحنانا من اية ارض اخري في هذا العالم حتي لو اكلنا فيها ترابا، على الاقل ابناءنا سوف يظلون عربا من جيل الى جيل والى الابد!

---

* صحافي من فلسطين يقيم الامارات
jmajaida@hotmail.com